ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

" Cognitive Integration according to Alimam Al-Qurtubi through His Interpretation, Consensus as a Model"

ER-RAFAIY Hicham

Faculty of Humanities and Social Sciences Ibn Tufail Kenitra - Kingdom of Morocco

Abouhiba0709@gmail.com

Received:25/10/2025 Accepted : 16/11/2025

Abstract:

This paper attempts to trace the Work of Imam Al-Qurtubi in his interprétation of the Qur'an to réveal his applied approach in activating and exploiting the outcomes of the conitive intégration between the different scientific consensuses among them, as well as their intégration with other principles of interprétation That he adopted in editing and deciding his various interpretive jurisprudence.

The paper concludes that Al-Qurtubi diversified in employing the conclusions of conitive intégration between the same consensuses, and between them and others, using them to achieve a set of interpretive objectives.

Keywords : Cognitive Intégration, Interprétation, Consensus.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 05 العدد06 بتاريخ 20-11-2025

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

" التكامل المعرفي عند الإمام القرطبي من خلال تفسيره، الإجماعات نموذجا"

هشام الرافعي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ابن طفيل القنيطرة– المملكة المغربية–

Abouhiba0709@gmail.com

ملخص:

حاولت هذه الورقة تتبع عمل الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنن وآي الفرقان" للكشف عن منهجه التطبيقي في تفعيل واستثمار مخرجات التكامل المعرفي بين الإجماعات العلمية المختلفة فيما بينها، وكذا تكاملها مع غيرها من أصول التفسير التي اعتمد –خاصة النصوص الشرعية المختلفة– في تحرير وتقرير اجتهاداته التفسيرية المختلفة.

وخلصت الورقة إلى أن القرطبي نوع في توظيف خلاصات التكامل المعرفي بين الإجماعات ذاتها، وبينها وبين غيرها، مستثمرا إياها لتحصيل جملة من الأهداف التفسيرية البيانية، سواء لبناء تفسيراته، أو تأكيد اختياراته، أو الترجيح بين أقوال من سبقه من المفسرين، وكذا من أجل الاستدراك والتعقيب. كما بينت الدراسة أن الإمام القرطبي أبدع في صور وصيغ استثمار التكاملات المعرفية بين الإجماعات ذاتها وبينها وبين غيرها.

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي، التفسير، الإجماع.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

مقدمة:

عني المسلمون منذ العهد النبوي بالتفاعل مع كتاب الله تعالى تفهما لآيه، وتطبيقا لأحكامه، وتنزيلا لأوامره، واستجلاء لمضامينه، وتنقيرا عن هداياته وأنواره، مستثمرين في كل ذلك ما توافر عندهم من ملكات، وموظفين من أجل ذلك كل ما عندهم من معارف وعلوم. فساروا على هذا النهج والسنن القويم في كل أطوار حياتهم الحضارية والعلمية والمعرفية؛ مستلهمين من القرآن الكريم، في استثمار تام لكل العلوم التي رأوا أن بإمكانها الإسهام في تحصيل غايات تفهم معانيه، والوقوف على مقاصده ومراميه؛ التشريعية، والتنظيمية، والمعرفية، والمنهجية، والعلمية، والهدائية...، فاستثمروا هذه العلوم في تكامل وتعاضد بينها، مجتهدين في توظيف علاقاتها البينية، وصلاتها التعاضدية التكاملية لسبر أغوار القرآن الكريم، واستلهام معانيه، واستخراج كنوزه، واستخلاص دره.

وفي هذا السياق يبرز الإجماع العلمي في الفنون العلمية المختلفة، باعتباره معلما مميزا للحياة الفكرية والعلمية للأمة الإسلامية من جهة، وباعتباره مصدرا علميا ومعرفيا معبرا عن خلاصات الفكر الجماعي لعلماء المجال العلمي الذي ينتمي إليه، ما يجعل استثماره -الإجماع العلمي- وتوظيف مضامينه في حقول أخرى أمرا في غاية الأهمية، وضمن أعلى مراتب الموارد المتسمة بقدر عال من الصدق والموثوقية، كما أن الاستمداد منه من قبل أقطاب مختلف الفنون أكثر جدوى وحصافة.

ويعد الإمام القرطبي من أبرز علماء التفسير الذين استثمروا -إلى جانب مصادر وموارد أخرى- الإجماعات العلمية المختلفة في جهودهم التفسيرية المختلفة، الأمر الذي يجعل الكشف عن منهجه في إعمال التكامل بين الإجماعات العلمية المختلفة ذاتها من جهة، وفيما بينها وبين غيرها من الموارد المستثمرة في التفسير من جهة ثانية، في تحرير وتقرير واختيار المعاني التفسيرية أمرا في غاية الأهمية؛ منهجيا، ومعرفيا، وعلميا، وهو ما ستحاول هذه الدراسة -بإذن الله تعالى- الكشف عنه، متسائلة عن

"كيفية توظيف الإمام القرطبي لتكامل الإجماعات العلمية في بناء اختياراته التفسيرية؟ وعن صيغ وأشكال إعماله مخرجات هذا التكامل التي أفرزتها جهوده؟"، ويتفرع عن هذا التساؤل البنود الآتية:

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

– ما المسوغات المنهجية والمعرفية والعلمية لاستناد المفسرين عموما، والإمام القرطبي خصوصا لإعمال مقتضيات التكامل المعرفي في التفسير؟

– ما أهم معالم إعمال الإمام القرطبي للتكامل المعرفي في التفسير اعتمادا على الإجماعات؟

– ما أبرز خصائص منهج القرطبي في استثمار التكامل المعرفي بين الإجماعات وغيرها في التفسير؟

– ما أوجه توظيف القرطبي للتكامل المعرفي بين الإجماعات، وبينها وبين غيرها في تحريراته التفسيرية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وما تفرع عنها من قضايا، عملت الورقة على تتبع جهود الإمام القرطبي التفسيرية التي ضمنها تفسيره: " الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان"، واستخلاص معالم إعمال التكامل المعرفي من خلال الإجماعات، ثم دراستها للوقوف على منهجه في استثمار ما بينها من تكامل وترابط، وصولا إلى التعرف على أهم أوجه ذلك التكامل عنده.

أولا: القرآن الكريم والوحدة المعرفية في الإسلام.

للقرآن الكريم في الحضارة الإسلامية مكانة سامية من حيث التأسيس والضبط والتوجيه، وكذا الإصلاح والنقد والتقويم، إذ كان المهد الأساس، والمنبع الرئيس الذي انبثقت عن أولى آياته الأمة الإسلامية كذات وهوية ووجود، وحضارتها المتميزة الممتدة الجذور والأغصان، والمتشعبة المجالات العلمية والعملية، والمتعددة المعالم والمظاهر الفكرية والعلمية والثقافية والتشريعية والحياتية...،

وتبرز علاقة المنظومة المعرفية الإسلامية بالقرآن الكريم مما يأتي:

1: التأسيس القرآني للعلوم:

دعا القرآن الكريم منذ نزول آياته الأولى إلى الاهتمام بالعلم والعلوم، ودفع المسلمين دفعا نحو تأسيس المعارف، وشحذ هممهم العلمية والثقافية والمعرفية، فألزمهم بإعمال العقل ونبذ التقليد، وحثهم على طلب العلم والكشف عن مكتنزات الكون العلمية والمعرفية، واستثمارها في مسيرة إعمار الكون بالخير والصلاح، وأداء أمانة الاستخلاف، حاضا –من أجل ذلك– على طلب العلم الذي أعلى من شأن أهله، فقال

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: 9] وقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11]

ولضمان الاستمرار في ميدان البحث العلمي تنقيبا وكشفا ومدارسة، نص القرآن الكريم على أنه لا حد أعلى للعلم والتعلم فقال سبحانه: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف 76]، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ وأمته بالاستزادة الدائمة من العلم وطلب المعونة على ذلك فقال تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه 114]. وفي كل ذلك بيان لاحتفاء القرآن الكريم بالعلم والعلماء، وحثٌّ على العناية بالعلم ومحاربة الكسل، والجهل، والجمود، والتقليد.

والعلم الذي يحث القرآن الكريم على العناية به يتجاوز العلوم الدينية ليعم جميع ما يحتاجه الإنسان في عمرانه وضمان سؤدده وتطوره، وتحصيل سعادته الدنيوية والأخروية، سواء تعلقت بأمور الدين أم بقضايا الكون المختلفة، فقد "حض الله المسلمين على تعلم هذه العلوم ليكونوا أبصر بعظمة الله وقدرته المتجلية في خلقه، كما أن هناك –إلى جانب هذه الحكمة– حكما أخرى، هي ما يتبع هذه العلوم من منافع مادية آتية من استخدام حقائق العلم في شؤون الحياة" (طبارة عبد الفتاح، 2006، ص433).

وبهذه التوجيهات والإلزامات يكون القرآن الكريم قد أسهم بشكل غير مباشر في التأسيس للعلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية بكل تخصصاتها ومجالاتها.

هذا الإسهام البنائي لم يتوقف عند هذا الحد، بل امتد ليتخذ شكلا مباشرا من خلال التنصيص على جملة من القضايا والأصول العلمية والمعرفية التخصصية الدقيقة، إضافة إلى التسبب في نشأة قضايا وفروع أخرى تمس الحاجة إليها أثناء التفاعل والتواصل معه، كالنحو والأصول والفلك والرياضيات ...وغيرها.

هذه المعالم التأسيسية للمعرفة في القرآن الكريم، نابعة من كونه أصل استمداد مختلف العلوم التي نشأت وترعرعت وتطورت في أحضان الحضارة الإسلامية، إذ إنها مستفادة منه، ومستخرجة أساسا من ثنايا آيه؛ بشكل مباشر من منطوق الآيات، أو عن طريق الاستنباط منها والاستكناه لمقاصد منطوقاتها وتوجيهاتها وأحكامها ... ، لأن المسلمين يصدرون عن عقيدة راسخة تقوم على كون القرآن الكريم أصلا لكل العلوم والمعارف، ومنبعا هاديا لاستثمارها في الحياة بكل مجالاتها، فهو الكتاب الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

إلا حوى أحكامها، تفصيلا أو تأصيلا، إجمالا أو بيانا، قال تعالى:﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 38]، وقال سبحانه: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: 89]، قال الإمام القرطبي: " فصدق خبر الله بأنه ما فرّط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلا". (القرطبي أبو عبد الله محمد، 2006، ص132/6).

وما اكتسب القرآن هذه الميزة إلا لأنه كلام رب الأرباب، خالق الأكوان ومدبرها والمحيط بها وبما فيها، والعالم بدقائقها وأسرار ما فيها، فكان بدهيا أن يحوي –القرآن– من العلوم والمعارف والتوجيهات والتنظيمات ما يؤسس ويوجه ويقوم ويضبط الكون ومسيرة البشرية فيه، وعليه ف " العلوم ليست في أوائلها خارجة عن القرآن الكريم، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى (...) فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين، وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته على تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له".(الغزالي أبو حامد، ص44).

وليس معنى هذا الكلام كون القرآن الكريم يتضمن تفاصيل وجزئيات الحقول العلمية المختلفة بشكل يرفع عن الإنسان كلفة البحث والتنقيب والكشف والاكتشاف، وإنما المراد بذلك أن القرآن الكريم تضمن أصول المعارف وقواعدها وكلياتها الكبرى، وترك للإنسان مجال البحث والكشف عن التفاصيل والجزئيات في أغلب الميادين والمجالات العلمية والمعرفية، ولم يحسم القرآن إلا في مجالات ضيقة محدودة من فروع علمية خاصة، اقتضت طبيعتها في علاقتها بالإنسان ذلك التفصيل والبيان.

2: القرآن الكريم واستنهاض الهمم للتأسيس العلمي والمنهجي لعلوم الآلة.

إن كثيرا من العلوم والمجالات المعرفية التي نشأت وتطورت في أحضان الحضارة الإسلامية في مختلف أمصار وأقاليم العالم الإسلامي في أزمنة التأسيس والبناء العلمي، إنما كان المحرك لتأسيسها وتشييد أعمدتها النظرية والتطبيقية والمنهجية هو خدمة القرآن الكريم، والإسهام في ضبط أسس وأصول التعامل، وكذا تسديد قواعد النظر في آيه استثمارا واستنباطا، وتفاعلا عمليا وعلميا...، حفظا له من كل تحريف يطال نصه –أثناء القراءة والتلاوة–، أو فهمه واستدرار معانيه وتنزيل مقتضياته وتطبيق توجيهاته وأحكامه...، خاصة مع دخول غير العرب الإسلام، وإقبالهم على التعامل مع كتاب الله والنهل من معينه، ما استدعى

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

تقعيد قواعد العلوم المؤطرة للتفاعل مع نص القرآن ومعانيه ومقاصده، وما حوته آياته من معارف وعلوم، فانبرى المسلمون إلى وضع العلوم المختلفة الخادمة للقرآن الكريم، والعاصمة من الانحراف في التعامل معه.

فعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبيان ومعاني ومعاجم...، إنما قعدت قواعدها، وضبطت أصولها، وبينت أسسها، وفصلت مجالاتها وثوابتها ... من أجل خدمة القرآن الكريم وضبط تفاعلات المسلمين معه، قراءة وفهما، تدبرا واستنباطا، إعمالا وتنزيلا، استدلالا واستشهادا، تحكيما وتحاكما...، وهو الأمر الذي نحى بعلماء الإسلام منذ الرعيل الأول إلى العناية بهذه العلوم، معتبرين الإلمام باللسان العربي شرطا أساسا لورود حياض الشرع والشريعة، والتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، قال المبرد: " وأفضل ما قصد له من العلوم كتاب الله –جل ذكره– والمعرفة بما حل فيه من حلاله وحرامه وأحكامه، وإعراب لفظه وتفسير غريبه (...)، وأفضل العلوم بعدُ علم اللغة وإعراب الكلام، فإن بذلك يقرأ القرآن، وعليه تروى الأخبار والأشعار، وبه يزين المرء كتابه ويحلي لفظه". (المبرد محمد، 1995، ص4).

هذا الذي بينه المبرد يكشف قيمة اللسان العربي في الدراسات الشرعية عامة، والتعامل مع القرآن الكريم –الذي هو لب الشرع وقلبه وأساسه– بشكل خاص، وهو ما زكاه غير واحد من علماء الأمة، فهذا فخر الدين الرازي (606 هـ) يقول: " لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به، وهو مقدور للمكلف، فهو واجب". (الرازي أبو عبد الله محمد، 1997، ص203/1).

ولم ينحصر اهتمام العلماء المسلمين بعلوم اللسان العربي فقط، بل شملت عنايتهم كل المجالات العلمية التي يتوقف عليها فهم القرآن وصيانة حياضه من كل تهديد يفضي إلى سوء فهمه، أو تحريف معانيه، خاصة تلك العلوم التي يتوقف عليها منهج التعامل مع الوحي، والتي استدعت الحاجة الماسة إلى تأسيس بنيانها، "فنشأة الفلك والرياضيات والفيزياء وعلوم الأرض في التراث العربي الإسلامي لم تكن خارج دائرة القرآن الكريم، بل كان الموجه الرئيس، والمنطلق الأساس الذي وجه تفكير العلماء في تخصصاتهم المختلفة واهتماماتهم المتنوعة، بل لعله كان الهدف الذي أنشئت كل تلك المعارف إما لخدمته والسعي لفهمه فهما صحيحا، وإما استجابة لأوامره في البحث والتأمل والتفكر، إذ إن العلوم في نهاية الأمر هي خلاصات إمعان النظر والفكر في الظواهر المتعلقة بالكون والوجود والانسان". (العادل مصطفى، 2023، ص25).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

إن التأسيس للعلوم عند المسلمين انطلق من حوار العلماء مع كتاب ربهم في ارتباط وثيق بواقعهم وحاجات مجتمعاتهم، مستحضرين توجيهات الشرع في فرز وتتبع القضايا العلمية وقواعدها الكلية، فكان مدار نشأة هذه العلوم بكل تخصصاتها على القرآن بناء واستثمارا وتداولا وتأصيلا، كما دارت حول النص تفعيلا وخدمة وتحصينا، "حيث كانت في منطلقها متمثلة له علما وعملا، مما جعلها تنفتح بهدايته على الكون وعلومه، وعلى الإنسان ومعارفه تشيد عالميتها الرائعة الأولى، والتي تجلت فيها فعلا أبرز خصائص الوحي، وعكست بقدر طيب نوره وإشعاعه في الهداية والرحمة والعدل والحرية والأمن ...، كما تجلت أيضا كثير من القيم العليا المزكية للإنسان والبانية للعمران".(عبادي أحمد، 2013، ص183).

3: القرآن الكريم إطار مرجعي معياري للتقويم العلمي والضبط المنهجي.

هذا الذي ذكرناه يتعلق بالعلوم والمجالات المعرفية المختلفة التي أسستها الأمة الإسلامية، أما تلك الميادين والمجالات العلمية التي نشأت في أحضان الحضارات الأخرى ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي، فقد كان القرآن الكريم إطارا مرجعيا ناظما في تهذيبها وتقييمها وتأطيرها...، بحيث كان لتوجيهاته ونظمه ومقاصده... أثرا بالغا في إعادة صياغة وتطوير وتقويم اختلالات هذه العلوم، وإعادة بلورة صيغ وأساليب استثمار مقوماتها، وقواعدها، ومناهجها... في ظل الرؤية القرآنية الشاملة، في استثمار وتفعيل تام لخصيصة الهيمنة والتصديق التي يتميز بها القرآن الكريم على ما سواه من مصادر المعرفة، كل ذلك في تماه وانسجام تامين مع المقاصد العليا التي استهدفها القرآن الكريم، وتمحورت رؤيته الكبرى حول تحصيلها وتحصينها؛ والمتمثلة في السمو بإنسانية الإنسان، وضبط سيرورة عيشه المنضبطة في هذا الكون، بما يساعده على تحقيق الإعمار المنشود الذي يضمن للإنسانية قاطبة الطمأنينة في العاجل و السعادة الأبدية في الآجل.

هذا التأطير القرآني للعلوم المختلفة مُسدَّد ومُسند، بل ومؤسس على خصيصة شمولية الإسلام التي تميزه عن سائر النظم السائدة في الحياة البشرية قديما وحديثا، والقائمة على تشظية المجالات المعرفية والعملية والقيمية...، وإحداث قطائع منهجية ومضمونية ومجالية...بينها، عكس الرؤية الكلية التي أسس لها القرآن، والتي تتسم بكونها نظرة شمولية: "تأخذ جميع الأجزاء والعناصر والمكونات والنظم بالحسبان. ورؤية لحقائق الأشياء في إطارها الأشمل، وهي قواعد وأطر مرجعية للفكر والسلوك ضمن نظام القيم العام للمجتمع،

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

والصورة التي يدرك فيها العقل الإنساني حقائق الكون والحياة والإنسان، وإجابات الأسئلة الوجودية والمعرفية والقيمية بخصوص هذه الحقائق والعلاقات بينها". (ملكاوي حسن، 2011، ص 44. 45).

فالنظرة التوحيدية الشاملة التي بناها القرآن الكريم للمعرفة والعلم، تجعلها إطارا ناظما لتقويم المعارف المختلفة، وإعادة بلورة بنيتها الكلية، وتركيب تفاصيلها وجزئياتها، وتوجيهها الوجهة السديدة السليمة الخادمة للإنسانية ومصالحها المختلفة، وهو ما يجعل النظام المعرفي القرآني حاكما ومقوما وموجها لكل المعارف التي ينشئها العقل البشري، وهو فعلا ما تحقق في جوانب كثيرة منه في قرون الأمة الإسلامية الزاهية، حيث تمكن المسلمون بفضل الرؤية القرآنية من إعادة صياغة العلوم الإنسانية والطبيعية المختلفة التي أبدعها العقل البشري، واستوردها المسلمون، فأعادوا صياغة قواعد وأسس وتفاصيل كثير منها، كما جددوا النظر في أولويات البحث في مجالاتها وأساليب وأشكال ومقاصد استثمار مناهجها وموضوعاتها، بما يخدم الوجود البشري، ويسهم في إقامة العمران وبناء الإنسان.

فالقرآن يحض على تطوير العلوم والاجتهاد في خدمتها، والإبداع في ميادينها، من خلال الاهتمام بما أبدعته المجتمعات البشرية في مختلف مراحل حياتها، ودراسة ومدارسة النافع منها، والاجتهاد في تطويره، والبناء عليه لتشييد حضارة إنسانية متكاملة الأبعاد، متناغمة مع الحاجات الكونية، باعتبار المنتج العلمي مشتركا إنسانيا محقق لتواصل الحضارات وتكامل المجتمعات البشرية، وما إشارة القرآن الكريم لما برعت فيه أمم الأنبياء السابقين من أصناف العلوم والنظم وتنويهه بالسديد منها إلا أدل دليل على ذلك.

هذا التنصيص القرآني الممزوج أحيانا بما يحيل على الاستحسان لما نص عليه من النظم والقواعد العلمية والصناعية والمنهجية يفيد الدعوة إلى التحكم في أصولها والبناء عليها والعناية بتطويرها، وهو ما تلقفه المسلمون بفعالية وإيجابية، فقد ثبت " أن المسلمين الأولين انتشروا في الأرض يبلغون الأمم دعوة الإسلام، ويقتبسون ما صادفوه من العلوم والصناعات التي لديها، وأخذوا يتدارسونها ويتقنونها، ودفعهم حب التكامل إلى البحث عن نصوصها في مصادرها المكتوبة، ... وزادوا في مواد العلوم مما اكتشفوه في الطب والكيمياء والطبيعيات والرياضيات". (ملكاوي فتحي حسن، 2011، ص 435).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ولم يكتف العقل المسلم المسدد بالوحي، والموجه بتعاليمه عند حد تدوير المعرفة المُنْتَجَة، بل تجاوز ذلك إلى الإبداع والتطوير في ميادين العلوم المختلفة، بابتكار أساليب جديدة للنهوض بالمجالات العلمية المتنوعة، واستثمارها وتوجيهها لخدمة مصالح البشرية، وذلك بفضل تلك المواءمة التي أسسها القرآن الكريم بين الوحي والكون بكل مجالاته، ووجه المسلم إلى استثمارها والمحافظة عليها في توازن وانسجام تامين.

هذا التوجيه القرآني المتين مكن المسلمين في عصورهم الزاهية من الاستفادة التامة من مخرجات الحوارات المتواصلة والدائمة التي يجريها العقل المسلم مع الوحي والكون، ما أنتج تطورا وتقدما علميا ومعرفيا، بل وإبداعا وابتكارا عبرت عنه تلك العلوم والمعارف التي أبدعها وأنتجها المسلمون، والتي شملت كل مجالات الإنسان، والعمران، والطبيعة، والكون.

وعموما فعلاقة القرآن الكريم بمختلف العلوم في الحضارة الإسلامية علاقة متينة، إذ مَثَّل المعين الذي لا ينضب عطاؤه، ولا تحد منحه وإمداداته التي يزود بها المجالات العلمية، والتي بفضلها تكتسب روحها المحركة لنشأتها ونهضتها وتأطيرها؛ فمن ثناياه اندهقت الحضارة الإسلامية الكونية بكل تجلياتها وأبعادها، وبفضله بنيت أسسها وامتدت جذورها وتفرعت أغصانها، وانبثقت علوم أهلها وتمددت وتطورت.

وعليه؛ فإن التحاور مع القرآن الكريم بقصد تفهم معانيه واستدار علومه واستنطاق آياته، واستخلاص حكمه وأحكامه، .... يتوقف على إعمال مقتضيات مختلف العلوم التي تمكنت البشرية بفضل إقدار الله لها من بنائها وتأسيس أصولها وتفصيل فروعها، لأن هذه العلوم –كما مر معنا– مشتركة في الأصل، ومنسجمة متناسقة في الغايات والأهداف وإن اختلف في المجالات والميادين.

وبما أن القرآن الكريم نواة الإنتاج المعرفي في الإسلام ومركزه، فالمفسرون لآيه استحضروا التكامل والنسقية والتعاضد والتساند بين مختلف العلوم من أجل الوصول إلى فهم سليم دقيق صحيح لمراد الله في كتابه، ما جعلهم يستدعون أكثر من علم –كما هو مشاهد وملاحظ في إنتاجاتهم التفسيرية المختلفة– لبيان مراد الله، والتوسل بأكثر من مجال معرفي في تعاضد لاستدرار معاني نفس الآية القرآنية.

وسنحاول فيما يأتي من ورقات هذه الدراسة الكشف عن منهج الإمام القرطبي في توظيفه للإجماعات العلمية المختلفة في إطار تكاملها وتعاونها للكشف عن مراد الله تعالى.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ثانيا: منهج الإمام القرطبي في توظيف التكامل المعرفي بين الإجماعات في التفسير.

1: استثمار التكامل بين الإجماعات ذاتها في التفسير:

بالعودة إلى جهود الإمام القرطبي التفسيرية نجده في مواطن كثيرة يحشد إجماعات علمية متعددة أثناء تعرضه لتفسير نفس الآية، وتحرير معانيها، واستكناه مضامينها، مستثمرا ما تتيحه الصلات المعرفية والعلمية بين هذه الإجماعات لخدمة مقاصده وأهدافه التفسيرية. فوجدناه يعتمد التكامل بين الإجماعات لتحرير المعاني وتأصيلها، كما يعتمدها للاستدراك والتعقيب، وأيضا للترجيح وتقوية قول تفسيري على ما سواه...، والنماذج والأمثلة الآتية تبرز جانبا مهما من كل ما سلف:

أ- تكامل الإجماعات عند الإمام القرطبي في تحرير المعاني التفسيرية وتقريرها، واستنباط الأحكام والحكم: فالإمام القرطبي يعتمد الإجماعات المختلفة بشكل متكامل متناسق للاستفادة منها في تحرير معاني الآيات القرآنية، واستخلاص مضامينها، ومن الأمثلة على هذا المنحى:

❖ الاكتفاء بإيراد إجماعات متعاضدة لتقرير المراد دون ذكر المستفاد، ومن نماذجه: اكتفاؤه بإيراد إجماعات العلماء على ما يرتبط بأحكام قراءة القرآن الكريم في الصلاة ليكون ذلك تقريرا مباشرا لما تفيده تلك الإجماعات بمجموعها من وجوب قراءة القرآن في الصلاة -الفاتحة والسورة كما هو مقرر في كتب الفقه-. فُهِمَ هذا الحكم الذي بناه القرطبي من الإجماعين الذين حكاهما، حيث قال -رحمه الله-: "أجمع العلماء على أن لا صلاة إلا بقراءة، على ما تقدم من أصولهم في ذلك. وأجمعوا على أن لا توقيت في ذلك بعد الفاتحة، إلا أنهم يستحبون ألا يُقرأ مع فاتحة الكتاب إلا سورة واحدة؛ لأنه الأكثر مما جاء عن النبي ﷺ" (القرطبي أبو عبد الله محمد، 2006، ص192/1).

فالإمام القرطبي هنا ليقرر ويبني بعض أحكام قراءة القرآن في الصلاة؛ اكتفى بإيراد إجماعين متكاملين ومتساوقين فيما بينهما ساعداه على تحصيل مراده ومقصوده الذي رامه، مكتفيا بهما عن التنصيص على مراده، لأن حكم قراءة القرآن في الصلاة في نظره واضح بَيِّنٌ، تضافر الإجماعان في إبرازه وبيانه.

❖ الانطلاق من إجماعات متكاملة لاستنباط معنى جديد مركب منهما له ارتباط بالآية المفسرة، ومن ذلك: استناده المباشر إلى إجماعين متكاملين متساندين متعاضدين لاستنباط معنى تولد منهما، مرتبط

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

بالآية القرآنية التي يشتغل بتفسيرها، وهي قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ [الفاتحة 1] إذ أورد إجماعين متصلين ببيان هذه الآية وما تقتضيه، خلص من خلالهما إلى تقرير وبناء معنى جديد تركب منهما، فقال: " أجمع المسلمون على أن الله محمود على سائر نعمه، وأن مما أنعم الله به الإيمان، فدل على أن الإيمان فعله وخلقه، والدليل على ذلك قوله: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ والعالمون جملة المخلوقات، ومن جملتها الإيمان، لا كما قالت القدرية: إنه خلق لهم". (القرطبي أبو عبد الله محمد، 2006، ص204/1).

فالإمام القرطبي هنا استند فيما ذهب إليه، واعتمد فيما استنبطه من معنى جديد مولد، على الإجماعين الذين حكاهما؛ وهما الإجماع على أن الله تعالى محمود على سائر النعم، وكذا الإجماع على أن الإيمان من جملة النعم التي امتن الله بها على عباده، ليخلص من خلالهما إلى أن الإيمان فعل وخلق لله تعالى، مستدلا على ما استنبطه ومعززا له بالآية التي ساقها، وهي قوله تعالى: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

فمنطلق القرطبي فيما حرره واستنبطه من معنى جديد متصل بالآية المفسرة كان الإجماعان اللذان حكاهما، أما الآية فساقها واستدعاها لتعزيز اختياره، وتقوية استنباطه.

ب– استثمار بينية الإجماعات العلمية للاستدراك والنقد، حيث يحشد الإمام القرطبي ما وسعه من إجماعات مستفيدا مما بينها من وشائج وصلات معنوية ودلالية ومعرفية للاستدراك على غيره من المفسرين وغيرهم عندما يخالفهم الاجتهاد، ومن نماذج هذا المنحى؛ استدراكه على أبي عبيد وانتقاده لما ذهب إليه من التفريق بين "ليكةَ" بالتنكير و "الأيكةِ" بالتعريف، عند تفسيره قول الحق سبحانه: ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء 176].

فالقرطبي يرى أن لَيْكَةَ بالتنكير والتعريف بمعنى واحد، ويدلان على اسم القرية، فقال: "الأيك: الشجر الكثير، الواحدة أيكة. ومن قرأ: "أصحاب الأيكةَ" فهي الغيضة. ومن قرأ: "ليكةَ" فهو اسم القرية. ويقال: هما مثل بكة ومكة" ثم قال: " فأما ما حكاه أبو عبيد من أن "ليكة" هي اسم القرية التي كانوا فيها، وأن " الأيكة" اسم البلد فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت، ولو عرف من قاله لكان فيه نظر؛ لأن أهل العلم جميعا من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه". (القرطبي، 2006، ص71/16).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

هذا النقد الذي وجهه القرطبي لما نحى إليه أبو عبيد مستند إلى إجماعات متعاضدة من مجالات معرفية متنوعة؛ منها الإجماع التفسيري واللغوي، إضافة إلى إجماع القراء. فقد استدعى إجماعات متداخلة ومتعاونة لدحض ما ذهب إليه أبو عبيد، فساق أولا تقريرات المفسرين ورواياتهم وأقوالهم التي أجمعت على أن الأيكة غيضة من شجر ملتف، وأن المقصود بها في الآية أصحاب الشجر، وبالتالي فالأيكة اسم القرية التي أرسل إليها شعيب عليه السلام إضافة إلى قومه مدين، وكانوا أهل غيضة وشجر، فنسبوا إلى ذلك.

كما اعتمد أيضا إجماعين متعاونين لأهل اللغة؛ أولهما الإجماع اللغوي المنعقد على كون الأيكة في اللغة تطلق ويراد بها الشجر، فقال: " ولا نعلم بين أهل اللغة اختلافا أن الأيكة الشجر الملتف" (القرطبي أبو عبد الله محمد، 2006، ص71/16)، وثاني الإجماعات اللغوية المتكامل مع ما سبق، ذلك المتعلق بتصرف الاسم الذي لا ينصرف إذا عرف أو أضيف، الأمر الذي يدل على أن لفظ "الأيكة" منصرف وأن حقه الخفض، فقال: " قال سيبويه: واعلم أن ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام أو أضيف انصرف. ولا نعلم أحدا خالف سيبويه في هذا". (القرطبي، 2006، ص72/16).

مما سبق يبرز جانب مهم من منهج القرطبي في استثمار الإجماعات العلمية المختلفة، وتوظيف ما بينها من التداخل والتعاضد الدلالي والمعرفي، وتوجيه ما تساوقت وتضامت وانتظمت فيه لنقد اجتهادات وتقريرات لها ارتباط بتفسير كلام الله تعالى.

والأمر الذي يبرز بجلاء من صنيع القرطبي هنا هو استفادته من الوشائج المعرفية الكامنة بين الإجماعات المختلفة المجالات المعرفية، حيث وجدناه يربط بين الإجماع التفسيري واللغوي النحوي والمعجمي لاستثمار العلاقات البينية بينها، وتوظيف مراكز التقائها لخدمة ما يرنو إليه من مقاصد وغايات تفسيرية.

ج– الاستفادة من تكامل الإجماعات لتقوية اختيار: فكثيرا ما يبني الإمام القرطبي اجتهادا مرتبطا بالتفسير فيعمد إلى استدعاء الإجماعات المتضافرة لتعزيز ما استخلصه، كصنيعه عند تفسير قول الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: 142]، حيث قال: "في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخا ومنسوخا". (القرطبي أبو عبد الله محمد، 2006، ص430/2).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ولتقوية اختياره استند إلى إجماعين يعزز أحدهما الآخر لتوافقهما في تأييد ما قرره، فقال: "وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ، كما تقدم. وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن"(القرطبي، 2006، ص430/2). فالإجماع الأول الذي حكاه القرطبي يفيد كون علماء الأمة -إلا من شذ- أجمعوا على وقوع النسخ في الأحكام الشرعية، وهذا الإجماع يلتقي مع الإجماع الثاني ويتساوق معه، فالعلماء متفقون على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن الكريم، وهذا دليل تطبيقي يتوافق مع الإجماع العام النظري الذي حكاه القرطبي ونسبه إلى علماء الأمة، وبذلك يتكامل الإجماعان ويعاضدان لتأكيد ما استنبطه من الآية، ولهذا استدعاهما جامعا بينهما في ذات السياق لعلمه بخدمتهما معا لمقصوده التفسيري.

بناء على هذين الإجماعين الذين ساق القرطبي، يتبين أنه يستحضر التكامل البيني الحاصل بين الإجماعات، ويستثمره بشكل وظيفي ومثمر لتحقيق غاياته من إيراده في تقرير المعاني التفسيرية واستلالها من الآيات القرآنية، وتحرير مضامينها ومتضمناتها، واستخلاص كنوزها المكنونة في ثناياها.

د- إعمال التداخل المعنوي بين الإجماعات العلمية المستثمرة للترجيح بين الأقوال التفسيرية؛ فالقرطبي -رحمه الله- ومن أجل الترجيح بين الاستنباطات التفسيرية المنقولة عن الأئمة في بيان متضمنات الآيات القرآنية -خاصة عند تعارضها-، يستعين بما تكتنزه الإجماعات العلمية المتنوعة من دلالات مشتركة ومتعاضدة، تعزيزا لمذهب ورأي وتقويته، وتقديما له على ما دونه، كتوظيفه إجماعين مختلفي المجالات العلمية لترجيح أقوال العلماء بشأن نوع سورة الفاتحة، حيث ذهب بعضهم إلى القول بأنها مكية، في حين ذهب الآخرون إلى القول بأنها مدنية، وفريق ثالث قال بأن نصفها مكي ونصفها مدني.

فقدم القرطبي القول بمكية السورة اعتمادا على إجماعين ظهر له أنهما يتعاونان معا لتقوية وتعزيز هذا القول على ما سواه، لأنهما يتكاملان في إثبات زمن نزول السورة، فالأول يثبت أن نزول الفاتحة بمكة لأن سورة الحجر التي أشارت إلى هذه السورة في قوله سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾(الحجر 87) مكية بإجماع، والإجماع الثاني يفيد بأن الصلاة فرضت على المسلمين بمكة، ولا صلاة بدون قراءة الفاتحة كما دل على ذلك قول المصطفى ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» (البخاري أبو عبد الله محمد، 2003، كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الحضر والسفر، حديث رقم:756). فتأكد له من خلال تساوق وتكامل هذين الإجماعين مكية سورة الفاتحة، لذلك قال بعد ذكره الاختلاف: " والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾، والحجر مكية بإجماع. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الفاتحة 1)". (القرطبي، 2006، ص 177/1).

وبهذا الجمع بين هذين الإجماعين تمكن القرطبي من تأكيد القول الراجح عنده في المسألة، وهو جمع أسعفه فيه تكامل الإجماعين من جانب ما دلا عليه، واشتركا في بيانه.

2: التكامل بين الإجماعات والنصوص الشرعية في التفسير عند القرطبي

فالإمام القرطبي–رحمه الله– كغيره من المفسرين لم يكتف بالإجماعات مصدرا لتحرير وتقرير المعاني، واستخراج الكنوز التي تزخر بها الآيات القرآنية، بل استند إلى مصادر متعددة، مستثمرا ما بينها وبين والإجماعات العلمية المتعددة من تداخل وتوافق، ومن ذلك التكاملات بين الإجماعات والنصوص الشرعية المختلفة، والتي اتخذت جهوده التفسيرية الموظفة للعلاقات التكاملية بينها أساليب شتى من أهمها:

أ– اعتماد التكامل بين الإجماعات والنصوص الشرعية لبناء تفسير، أو استنباط واجتهاد، إذ يلجأ إلى حشد ما وسعه من النصوص المتشابكة مع الإجماع أو الإجماعات من الناحية الدلالية، والاستناد على ما توافقت حوله من معاني، وعدها أصلا مفسرا لا يحتاج مزيد بيان وتنصيص، أو اعتبارها معينا على بيان ما حوته الآية/ الآيات المفسرة من معاني وحكم وأحكام كما في المثالين الآتيين:

● في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة 180]، وليبين حكم الإيصاء بجميع المال عند حضور الوفاة، اكتفى القرطبي بحكاية إجماع العلماء وإيراد رواية حديثية حول الموضوع معتبرا ما دلا عليه مجتمعين حكما ونصا في المسألة، فقال: "أجمع العلماء على أن من حضره الموت وله ورثة، فليس له أن يوصي بجميع ماله. وروي عن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال حين حضرته الوفاة لابنه عبد الله: إني قد أردت أن أوصي، فقال له: أوص، ومالك في مالي، فدعا كاتبا فأملى، فقال عبد الله: فقلت له: ما أراك إلا قد أتيت على مالي ومالك، ولو دعوت إخوتي فاستحللتهم". (القرطبي، 2006، 109/2).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

فأنت ترى أن الإمام القرطبي اعتمد تكامل الإجماع والرواية هنا لبيان الحكم الذي يقصد إبرازه، مكتفيا في ذلك بعرضهما دون تعقيب استنباطي منهما، معتبرا تعاضد دلالتيهما في الوفاء بمطلوبه نصا في الباب.

- ذهب الإمام القرطبي إلى أن قول الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ [الأنفال 41] عام أريد به الخصوص، مستندا في ذلك إلى الوشائج الدلالية، والرابطة المعنوية الكامنة بين الإجماعات التي حكى والنصوص الحديثية التي أورد، إذ قال: "لم يختلف العلماء أن قوله: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ ليس على عمومه، وأنه يدخله الخصوص؛ فمما خصصه بإجماع أن قالوا: سَلَبُ المقتول لقاتله إذا نادى به الإمام. وكذلك الرقاب –أعني الأُسارى– الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف على ما يأتي بيانه.

ومما خص به أيضا الأرض. والمعنى: ما غنمتم من ذهب وفضة وسائر الأمتعة والسبي، وأما الأرض فغير داخلة في عموم هذه الآية؛ لما روى أبو داود عن ابن عمر بن الخطاب أنه قال: «لولا آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر». (البخاري، 2003، ح2334).

ومما يصحح هذا المذهب ما رواه الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومنعت الشام مديها ودينارها» (مسلم، 1995، ح2896) الحديث. قال الطحاوي: "منعت" بمعنى: ستمنع. فدل ذلك على أنها لا تكون للغانمين؛ لأن ما ملكه الغانمون لا يكون فيه قفيز ولا درهم، ولو كانت الأرض تقسم؛ ما بقي لمن جاء بعد الغانمين شيء." (القرطبي، 2006، ص 9/10، 10).

فمما سبق يتبين أن القرطبي استند إلى ما توافقت عليه هذه المصادر، وما تضامت في بيانه وتعاضدت دلالاتها في إبرازه وتأكيده؛ لتقرير خصوص حكم الآية وصرف دلالتها عن العموم الظاهر من لفظها.

ب– استثمار الجسور المعرفية بين الإجماعات والنصوص الشرعية لتعزيز منحى تفسيري اختاره وقرره، ومنه: دعم ما فهمه من قول الله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة 229] من إباحة الطلاق، مستدلا لاختياره بموارد مختلفة رأى أنها تتوافق وتتساوق لتأييد اختياره، ومما استدعاه إضافة إلى الآية؛ حديث نبوي قولي وأثر عملي ثم إجماع للعلماء، دلت مجتمعة في نظره على إباحة الطلاق. قال رحمه الله: "والطلاق مباح بهذه الآية وبغيرها، وبقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابن عمر: «فإن شاء أمسك وإن شاء طلق» (البخاري، 2003، ح: 5251)، وقد طلق رسول الله ﷺ

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

حفصة ثم راجعها؛ خرجه ابن ماجة. وأجمع العلماء على أن من طلق امرأته طاهرا في طهر لم يمسها فيه أنه مطلق للسنة، وللعدة التي أمر الله تعالى بها، (...). فدل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن الطلاق مباح غير محظور." (القرطبي، 2006، ص 55/4، 56).

فهذا العرض للنصوص إلى جانب الإجماعات الذي قام به القرطبي لم يأت من فراغ، بل لما ظهر له من التناسق والتعاضد المعنوي والدلالي بينها، والذي يثمر معنى موحدا تاما ينهض لتأكيد وتعزيز ما استنتجه واستنبطه، وبذلك يكون قد لاحظ واستثمر هذا التكامل المعرفي الرابط بين هذه الموارد المختلفة والمتنوعة، واعتمده دليلا مقويا لاجتهاده.

ج- الاستعانة بالتكامل المعرفي بين الإجماعات والنصوص الشرعية المختلفة للترجيح بين الأقوال التفسيرية، ومن نماذج ذلك: التكامل الذي لاحظه بين نصوص قرآنية وحديثية وإجماعات، واعتمده لتقديم مذهب من رأى أن القرء في قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ [البقرة 228] يراد به الطهر لا الحيض، على مذهب من رأى العكس، فقال بعدما أورد الأقوال المختلفة المتعارضة في ذلك ومناقشتها: "اتفقوا على أن القرء الوقت، فإن قلت: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة أوقات، صارت الآية مفسرة في العدد محتملة في المعدود، فوجب طلب البيان للمعدود من غيرها، فدليلنا قول الله تعالى: **[فطلقوهن لعدتهن]** (الطلاق 1)، ولا خلاف أنه يؤمر بالطلاق وقت الطهر، فيجب أن يكون هو المعتبر في العدة، فإنه قال: **[فطلقوهن لعدتهن]** يعني وقتا تعتد به، ثم قال: **[وأحصوا العدة]** (الطلاق 1)، يريد ما تعتد به المطلقة، وهو الطهر الذي تطلق فيه؛ وقال ﷺ لعمر: " مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء". أخرجه مسلم وغيره.

وهو نص في أن زمن الطهر هو الذي يسمى عدة، وهو الذي تطلق فيه النساء. ولا خلاف أن من طلق في حال الحيض لم تعتد بذلك الحيض، ومن طلق في حال الطهر فإنها تعتد عند الجمهور بذلك الطهر، فكان ذلك أولى." (القرطبي، 2006، ص 40/4).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

فاستدعاء القرطبي للآيات القرآنية والنص الحديثي إلى جانب الإجماعات التي حكاها دليل على استحضاره التكامل بين النصوص الشرعية المختلفة والإجماعات، واستثماره لما بينها من علائق معنوية ودلالية لأداء وظيفة الترجيح التي رام واستهدف.

د- استثمار التكامل بين النصوص والشرعية والإجماعات لنقد الأقوال والاستدراك على أصحابها، إذ يُعْمِل الإمام القرطبي الدلالة التي تعانقت هذه الموارد لتحصيلها وإثباتها، ويوظفها بفعالية لانتقاد أقوال وتوجهات يخالف أصحابها، مجتهدا في نقضها والاستدراك عليها استنادا إلى الدلالات المتولدة عن الجمع بين هذه المصادر المعرفية، كما في إنكاره الشديد على القدرية قولهم بأن الإنسان يخلق إيمانه وهداه، مستندا في مدافعة مذهبهم ونقضه على التكامل بين الإجماعات والآيات القرآنية التي استدعى، وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ (البقرة 7).

فبعد استنكاره مذهبهم، واستعظامه خطلهم، وحكايته قولهم في الآية القاضي -تبعا لاعتقادهم- بكون الختم والطبع والغشاوة يراد به التسمية والحكم، لا فعل وإيقاع الطبع على قلوبهم حقيقة، مع الإخبار بأنهم لا يؤمنون، حشد ما يراه مناسبا من النصوص القرآنية والإجماعات المتعاضدة لنقض هذا التفسير، فقال: "قلنا: هذا فاسد؛ لأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعا مختوما، لا يجوز أن تكون حقيقته التسمية والحكم، ألا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه، كان حقيقة أنه فعل ما صار به الكتاب مطبوعا ومختوما، لا التسمية والحكم. هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة، ولأن الأمة مجتمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾ [النساء 155].

وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي ﷺ والملائكة والمؤمنين ممتنع، فلو كان الختم والطبع هو التسمية والحكم لما امتنع من ذلك الأنبياء والمؤمنون، لأنهم كلهم يُسَمُّون الكفار بأنهم مطبوع على قلوبهم، وأنهم مختوم عليهم، وأنهم في ضلال لا يؤمنون، ويحكمون عليهم بذلك. فثبت أن الختم والطبع هو معنى غير التسمية والحكم، وإنما هو معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الإيمان به، دليله قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ (الحجر 12، 13)، وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى**

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

﴿قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ (الانعام 25)، أي: لئلا يفقهوه، وما كان مثله". (القرطبي، 2006، ص 285/1، 286).

ثالثا: صور وصيغ التكامل المعرفي بين الإجماعات في التفسير عند الإمام القرطبي.

بعد تعقب عمل الإمام القرطبي في التفسير، وتتبع طرائقه في الاعتماد على الإجماعات لتفسير الآيات القرآنية في إطار التكامل المعرفي، يمكن الوقوف على صيغ توظيفه هذا التكامل الدلالي الذي تتظاهر الإجماعات وحدها أو إلى جانب غيرها من المصادر المعرفية المعتمدة عنده في التفسير لتحصيلها.

وضابط التمييز بين صيغ وأشكال التكامل المعرفي عند الإمام القرطبي يكمن أساسا في الوظيفة التكاملية التي ناطها الإمام بذلك الإجماع، ورام منه خدمتها.

وعند تدقيق النظر في هذه الصيغ التي وقفنا عليها –كما سنبين–، تبين أنها كلها تبرز وتطبق جانبا من الدلالة التي تكتنزها كلمة "التكامل"، وكأننا بالقرطبي –رحمه الله– يكشف لنا عمليا أوجه تحصيل واستثمار التكامل المعرفي بين الإجماعات من جهة، وبينها وبين غيرها من أصول التفسير من جهة ثانية، فبين لنا معالم عملية تطبيقية للتعامل مع الوشائج المعرفية الموحدة لأصول التفسير وكيفية استثمارها للتعامل مع كلام الله تعالى، دون الخروج عن نطاق الدلالة اللغوية لكلمة "التكامل"، والتي تدور حول معان تؤول في مجملها إلى تنزيل مقتضيات التكامل، منها: التعاون والتساند، التتمة والتكميل، التداخل والبينية.

ويمكن الحديث عن صيغ إعمال القرطبي للتكامل المعرفي بين الإجماعات، وبينها وبين غيرها فيما يأتي:

1: التكامل البيني التداخلي بين الإجماعات وبينها وبين المصادر الأخرى عند الإمام القرطبي.

نقصد بالتكامل البيني التداخلي: ذلك التشابك الدلالي، والتداخل المعنوي الموجود بين مصادر معرفية متعددة، والذي يسهم بشكل بيني توافقي في بناء معنى واحد تام متراص منسجم كأنما استخلص من منبع واحد، بعدما تم تنشيط حركية التفاعل الدقيق بين التخصصات والمجالات المعرفية المتباعدة، بطي المسافات بينها، وتسخير عقد الإرتباط والالتقاء بينها لخدمة العلم والمعرفة.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

ففي ميدان التفسير مثلا؛ يستثمر المفسر الدلالات والمباني المعرفية التي تحيل عليها المصادر المتنوعة التي يوظف، وإن اختلف جهات ووجهات تناولها لها، وذلك بالوقوف على الوشائج المعنوية التي تجمع بين جزئياتها وكلياتها، الأمر الذي يمكنه من الوقوف على نقط التقائها وتمركزها ليظفر بالمعنى المراد.

إن التكامل التداخلي البيني إذن؛ يقوم على استثمار الإشارات والنكات العلمية، والفوائد والمضامين المعرفية بشكل ترابطي، واستغلال الجسور ونقاط الالتقاء والاشتراك بين مختلف المصادر، ثم صهرها في بوثقة واحدة لتثمر وتزهر فتخرج لنا مولودا معرفيا جديدا.

ويمكن التمثيل لهذا البعد التكاملي البيني من التراث الثقافي العربي، بما يمثله الشعر في الثقافة العربية، وما يتوقف عليه التعامل معه؛ إنتاجا، وتذوقا، وفهما واستثمارا، ... من تداخل حواس، وبينية استعدادات وقدرات، وتشابك معارف وعلوم، ...، حتى ذهب ابن سلام الجمحي إلى القول بأنه – الشعر-: " صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما يثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت؛ لا تعرفه بصفة ولا وزن دون معاينته ممن يبصره". (الجمحي ابن سلام، د.ت، ص: 5،7/1).

هذا المثال يوضح المراد بالبينية بين العلوم، والمقصود بالتكامل التداخلي في استثمار مواردها المختلفة لتوليد المعاني والمعارف الجديدة، فالتفاعل بين مكنونات العلوم المتساوقة هو الذي ينتج المطلوب العلمي الجديد، ويبث الروح في المضمون المستهدف، فأنت ترى أن الاستفادة من القصيدة أو القطعة، بل حتى البيت الشعري متوقف على الاستثمار البيني لموارد وقدرات ومعارف وعلوم مختلفة بشكل ترابطي تشابكي تفاعلي، من حس رهف، وأذن متذوقة، وعين سريعة في التقاط الإشارات، وذاكرة مستحضرة لجمالية المناظر، وبديهة سليمة قادرة على الربط المجرد بين الصورة الحسية والمعنى الشعري المقصود، وفوق هذا الحاجة إلى التمييز بين الدلالات والمعاني المعجمية واللغوية، والتمكن من الأساليب البلاغية والبيانية....

وبالعودة إلى جهود الإمام القرطبي فإننا نجده قد اعتمد هذا الضرب من التكامل المعرفي عند توظيفه للإجماعات في التفسير، حيث استثمر الوشائج والارتباطات المعرفية التي تصل الإجماعات فيما بينها، وكذا تلك التي تربطها بغيرها من مصادر المعرفة الأخرى، مستغلا نقاط التقائها، والجسور المعنوية والدلالية التي

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

تلحم سدى ما حوته من معارف، ليخلص منها إلى خدمة مقاصده الرامية إلى استدرار معاني كتاب الله تعالى، وتحرير الأقوال التفسيرية وتقريرها، والنماذج الآتية تميط اللثام عن جانب من ذلك:

فمن تداخل وبينية الإجماعات ذاتها: ما اعتمده القرطبي من إجماعات مستثمرا تشابك مضامينها، وتمازج معانيها لبيان حقيقة نسك التمتع، ومن تسري عليه أحكامه الواردة في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ الآية [البقرة 195]. حيث استفاد من الصلات المعنوية بين الإجماع على من قدم مكة معتمرا في أشهر الحج عازما الإقامة بها، ثم أنشأ حجة في عامه ذاك أنه متمتع عليه ما على المتمتع، وكذا الإجماع على أن المكي إذا جاء من وراء الميقات محرما بالعمرة، ثم أنشأ الحج بمكة وأهله بها ولم يسكن غيرها أنه لا دم عليه، إضافة إلى الإجماع على أن من انتقل من مكة بأهله، ثم قدمها في أشهر الحج معتمرا، فأقام بها حتى حج، أنه متمتع.

فالقرطبي بإيراده هذه الإجماعات المتشابكة المعنى، مكتفيا بها يكون قد بين حقيقة المتمتع، مستفيدا في ذلك من تساوق الإجماعات لتحرير المعنى المراد، إذ دلت على أن التمتع وأحكامه متعلق بغير المكي الذي يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ثم يحرم بالحج في ذات السنة، ولا يعد المكي متمتعا.

أما تداخل دلالات الإجماعات والنصوص الشرعية، فمن أمثلته: توظيف القرطبي التكامل الحاصل بين ما حكاه من إجماعات وما ساقه من نصوص، لبيان اختصاص تحريم الدم بالمسفوح دون ما سواه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**﴾ الآية (البقرة 173).

فلتقرير هذا الحكم والمعنى، استثمر القرطبي التوافق والارتباط الدلالي بين الإجماع المنعقد على حمل المطلق هنا، الذي هو تحريم الدم الوارد في هذه الآية، على الدم المقيد بكونه مسفوحا الوارد في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا**﴾ (الأنعام 145)، وبين الإجماع على حلية الدم المخالط للحم، وكذا الإجماع على حلية الكبد والطحال، هذا بالإضافة إلى تشابك ما دلت عليه هذه الإجماعات مع حديث عائشة رضي الله عنها الذي قالت فيه: "كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله ﷺ تعلوها الصفرة من الدم، فنأكل ولا ننكره".

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

فالقرطبي لتحرير مبتغاه، وتقرير المعنى المراد من الآية، استثمر التداخل بين المصادر التي استدعى، مراعيا ما بينها من ترابطات وعلاقات معنوية ودلالية ليركب منها المعنى الذي أسهمت في بنائه وأوصلت إليه.

2: التكامل الإسنادي الدعمي عند القرطبي اعتمادا على الإجماعات وغيرها:

المراد بالتكامل الإسنادي؛ تلك العلاقة الدلالية التي تربط بين مجالين معرفيين أو أكثر، والتي يمكن توظيفها لمساعدة أحد المجالين للآخر في أداء وظيفته، وتحقيق مقاصده بفعالية وقوة، بحيث توظف دلالة ومنهجية العلم المسنِد لدعم وإسناد العلم أو المجال المسنَد.

وفي التفسير فالتكامل الإسنادي يتحصل ويتحقق عندما يسهم مجال معرفي، أو مصدر علمي في مساعدة ودعم آخر لتجلية معنى واستنباط حكم أو حكمة، وتوجيه دلالة حوتها آية أو آيات قرآنية، كإسناد حديث لدلالة حديث آخر، أو دعم إجماع لمعنى أو توجيه دل عليه نص أو إجماع آخر، أو العكس.

ومن خلال وقوفنا على اجتهادات الإمام القرطبي في توظيف التكامل المعرفي بين الأصول والمصادر التي يعتمدها في التفسير، وجدناه يستثمر هذا المعلم التكاملي بين الإجماعات ذاتها، وبينها وبين النصوص الشرعية التي يوظف، والأمثلة الآتية تؤكد ذلك:

● في معرض مناقشة الإمام القرطبي لمذهب من يرى أن الغنيمة لا تقسم بين الغانمين، وإنما يتصرف فيها الإمام، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ الآية (الأنفال 41)، وللاستدراك على هذا القول وإبطاله، استدعى إجماعين أحدهما في المسألة، والثاني داعم له، نظرا لما رآه من تشابه في أسلوب آيتيهما، فالإجماع المسنَد منهجيا هو ما حكاه من إجماع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ دل على أن أربعة أخماس الغنيمة للغانمين، والإجماع المسنِدُ هو إجماع العلماء على أن قول الله تعالى: ﴿ **وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾ (النساء 11) دال على أن الثلثان للأب، فقال: " ...، ولأن الله سبحانه أضاف الغنيمة للغانمين فقال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾، ثم عين الخمس لمن سمى في كتابه، وسكت عن الأربعة الأخماس، كما سكت عن الثلثين في قوله: ﴿ **وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ**﴾ (النساء 11)، فكان للأب الثلثان اتفاقا، وكذا الأربعة الأخماس للغانمين إجماعا". (القرطبي، 2006، ص: 7/10).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

صنيع القرطبي هنا يبين أنه وظف الإجماع المتعلق بالمواريث لإسناد ودعم الإجماع الذي حكاه لتأييد مذهبه في المسألة التي يناقش من خالفه الرأي فيها، وهذا التساند بين الإجماعات الذي اعتمده القرطبي تساند منهجي، حيث قاس أحدهما على الآخر في أسلوب بنائه، كما قاس مستند كل منهما على الآخر من حيث تشابه أسلوب كل آية في الدلالة والتنصيص على مضمونها.

●ومنه؛ استثماره التكامل الإسنادي بين الإجماعات من جهة، وبينها وبين النصوص القرآنية من جهة ثانية لرد المذهب القائل بأن ابن البنت ليس ابنا على الحقيقة، وأن تسميته ابنا إنما يكون على سبيل المجاز، حيث استدعى إجماعين؛ أحدهما لغوي والثاني فقهي، فقال: "قلت: هذا الاستدلال غير صحيح، بل هو ولد على الحقيقة في اللغة، لوجو معنى الولادة فيه، ولأن أهل العلم مجمعون على تحريم بنت البنت من قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾ (النساء 23)". (القرطبي، 2006، ص30/19).

فالقرطبي هنا استثمر ما بين إجماع أهل اللغة على أن ابن البنت ولد حقيقة، وما دل عليه الإجماع الفقهي على تحريم بنت البنت، الأمر الذي يدل على أنها بنت حقيقة.

ولم يكتف القرطبي بتساند الإجماعين، بل قواه بآيات قرآنية تعضد ما دل عليه تكاملهما، فعزز ذلك بقول الله تعالى: **[وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ]** الآية (الأنعام 84- 85)، وقال: "فجعل عيسى من ذريته، وهو ابن بنته على ما تقدم بيانه هناك". (القرطبي،2006، ص 30/19).

3: التكامل التتميمي من صيغ التكامل المعرفي بين الإجماعات، وبينها وبين غيرها عند القرطبي:

من أهم دلالات التكامل من الناحية اللغوية: الإكمال والتتمة والإتمام، وكذا الربط بين الأجزاء المتعددة والمنفصلة حتى تتركب منها ذات واحدة منسجمة، وهذه الدلالة اللغوية تنسحب أيضا على التكامل المعرفي، باعتباره رؤية شمولية للمعرفة والمعارف ومجالاتها، بحيث تتساوق مع غيرها، ويساير بعضها بعضا حتى تفضي وتوصل إلى تكوين صورة موحدة حول الموضوع المدروس.

وبذلك يمكن تعريف التكامل التتميمي بأنه: تلك الرؤية المعرفية العملية والتصورية القائمة على مراعاة وحدة المعرفة، وحاجة كل مجال معرفي لغيره من أجل الوصول به إلى الكمال المعرفي المنشود والتمام المبتغى،

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

بحيث تتراص أجزاء كل مجال مع غيرها وتستفيد منه –كما يستفيد منها– لتبلغ غاية التمام والاكتمال في البوح بما تتضمنه، والإفصاح عما تحمله من علوم ومعارف.

وفي سياق التفسير، يمكن تعريف التكامل التتميمي بأنه: استثمار جزئيات وتفاصيل علوم متعددة بشكل منسجم يكمل ويتم بعضها ما بدأه الآخر، حتى يتركب من أجزائها مجتمعة ومتراصة معنى جديد يسهم في تجلية معاني القرآن الكريم، ويعين على تحرير دلالات آياته، واستدرار معانيه.

ومن نماذج هذا المنحى التكاملي المستثمر للإجماعات عند الإمام القرطبي، ما أورده من إجماعات متعددة تكاملت جزئياتها، وتضامت مضامينها لبيان شروط الإمام الذي يتولى خلافة المسلمين والسهر على تنظيم شؤونهم الدينية والدنيوية، حيث حشد القرطبي إجماعات كثيرة يكمل بعضها ما بدأه غيرها من شروط وجب على الإمام استجماعها والاتصاف بها، منها –الإجماعات–: الإجماع على أن يكون مسلما ذكرا حرا عاقلا بالغا عدلا، وأن يكون من أهل الاجتهاد، ذا خبرة ورأي سديد، محنكا في أمور الحرب وتدبير الجيوش، ذا علم دقيق بتفاصيل وأمور تنظيم أمور الدولة والرعية، وأن يكون قوي الشكيمة ثابت الموقف، شديدا على الظلمة والمعتدين. (ينظر: القرطبي،2006، ص 404/1).

ومن هذا القبيل، صنيع القرطبي عند تفسير قول الله تعالى: **[وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون]**[المائدة:45]، إذ إنه حشر جملة من الإجماعات والنصوص التي تتكامل فيما بينها، ويتمم بعضها ما بينه البعض الآخر لبيان ما حوته الآية من أحكام تتعلق بالقصاص والديات، وما يرتبط بها من تفاصيل علمية وعملية، فبعض هذه الإجماعات وكذا النصوص بين فروع القصاص في النفس، وأخرى أحكام القصاص المتعلقة بما دونها، بشكل أسهم في تكوين صورة كلية عامة وموحدة بشأن أحكام القصاص وما يرتبط به من عفو ودية وغير ذلك. (ينظر، القرطبي، 2006، ص: 5/8 وما بعدها).

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

خاتمة:

تبين من كل ما سلف ذكره والتنصيص عليه والتمثيل له؛ المنحى التطبيقي الذي سار عليه الإمام القرطبي –رحمه الله– في استثمار التكامل المعرفي بين الإجماعات من جهة، وبينها وبين غيرها من المصادر المعرفية التي اعتمدها لتفسير كلام الله تعالى والكشف عن مضامينه، واستدرار معانيه، واستخراج كنوزه المختلفة والمتعددة، إذ تأكد لنا أن القرطبي استحضر، بل وظف بشكل فعال ومثمر كل الإمكانات المعرفية والمنهجية والدلالية ...، التي تثمرها تلك التكاملات والترابطات والوشائج المتنوعة التي تجمع بين الإجماعات ذاتها، أو بينها وبين غيرها من الأصول التفسيرية التي وظفها للوصول إلى تفسير الآيات القرآنية، مستفيدا في ذلك كله من الخصائص المعرفية والذاتية... للقرآن الكريم، هذه الخصائص المتعددة والمختلفة التي تقتضي ضرورة مراعاة تكامل العلوم والتخصصات والمجالات المعرفية المتنوعة أثناء التعامل مع كلام الله تعالى، سواء أثناء إنتاج المعارف والعلوم اعتمادا على الآيات القرآنية، أو أثناء استثمارها وتوظيفها للكشف عن معانيه واستنباط متضماناته.

كما كشفت الدراسة أن منهج الإمام القرطبي في إعمال مخرجات التكامل المعرفي بين الإجماعات، وبينها وبين غيرها لم تسر على نسق واحد، بل تنوعت حسب السياقات، وحسب المقاصد التفسيرية، وما كان يستهدفه من وراء حشد المصادر المعرفية المتنوعة، حيث وجدناه تارة يوظف ثمرات التكامل لبناء الاختيارات التفسيرية، وتارة لتأكيد ما نحى إليه واستنبطه من المعاني والدلالات، وأخرى للاستدراك والنقد، ورابعة للترجيح بين الأقوال التفسيرية المختلفة، ما أكد أن منهجه في التوظيف والاستثمار تميز بالغنى والثراء التطبيقي، ما ساعده على إغناء مخرجاته التفسيرية، وتقوية جهوده البيانية، بفضل الخلاصات التركيبية التي أثمرها التكامل المعرفي بين العلوم والمعارف المستثمرة في التفسير عنده، بل وعند غيره أيضا.

إضافة إلى ما سبق، فالجهود التطبيقية لمقتضيات التكامل المعرفي عند القرطبي اتخذت صيغا وأوجها متعددة، يمكن الوقوف عليها عند استحضار دلالة كلمة "التكامل" لغويا واصطلاحيا، مع مراعاة المهام التي وظف القرطبي تلك المصادر والمجالات المعرفية لأدائها، فوجدنا التكامل المعرفي عنده يتخذ وجها تداخليا تشابكيا مرة، ودعميا إسناديا تساندي أخرى، وتتميميا ثالثا، الأمر الذي يبرز الجانب الإبداعي

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الذي سار عليه القرطبي في توظيف واستثمار التكامل المعرفي إلى الحد الذي مكنه من التحكم في تفعيل مقتضياته، وتجاوزها إلى التطوير بتنويع صيغ التوظيف والاستثمار.

خلاصة القول أن الإمام القرطبي كانت له جهود تطبيقية استثمارية متميزة في تفعيل مقتضيات التكامل المعرفي، وأن منهجه في ذلك اتسم بجانب كبير من الإبداع التنزيلي الوظيفي، ما يجعل جهوده ومنهجه في ذلك مرجعا أساسا لمن رام الوقوف على الجوانب الإثمارية لتكامل العلوم، وفوائدها العلمية والمعرفية، كما تشكل هذه الجهود ميدانا خصبا لمن قصد التعرف على أهم قواعد استثمار التكامل المعرفي والتحكم في ضوابطها المنهجية الميسرة لتوظيفها السليم في مختلف الدراسات.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1) ابن سلام الجمحي (د. ت)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دط، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.

2) أبو الحسن علي الدارقطني 1424 هـ - 2004 م، سنن الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان.

3) أبو الحسين مسلم 1374 هـ - 1955، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة.

4) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد 1995م، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

5) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (د. ت)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الطبعة: الثانية د. ت، مكتبة ابن تيمية — القاهرة.

6) أبو حامد الغزالي (د. ت)، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

7) أبو عبد الله محمد الحاكم 1439 هـ - 2018م، المستدرك على الصحيحين، حققه وخرّجه وعلّق عليه: عادل مرشد وآخرون، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، لبنان.

8) أبو عبد الله محمد القرطبي 1428 هـ/ 2006 م، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان.

9) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 1424هـ/ 2003م، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تخريج وضبط وتنسيق الحواشي: صدقي جميل العطار، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

10) أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي 1418 هـ - 1997م، المحصول، دراسة وتحقيق :الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

11) أبو عيسى محمد الترمذي 1395 هـ - 1975 م، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

12) طبارة عفيف عبد الفتاح 2006م، روح الدين الإسلامي، الطبعة الرابعة والثلاثون، دار العلم للملايين بيروت- لبنان.

13) العادل مصطفى 2023م، النص القرآني والعلوم اللغوية والعربية: حتمية التداخل وآفاق الاستثمار، كتاب جماعي: النص القرآني والعلوم اللغوية والعربية، دراسات في التداخل والتكامل، إشراف وتنسيق: مصطفى العادل وهشام ميري، الطبعة الأولى، الآن ناشرون وموزعون، الأردن.

14) عبادي أحمد 1434 هـ/ 2013م، الوحي والإنسان؛ نحو استئناف التعامل المنهاجي مع الوحي، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول تركيا.

15) ملكاوي فتحي حسن 2011م، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية"، الطبعة الأولى، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.